الزواج العرفي

بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشرائط والسي دي
٥٤٥٧٧٦٩٦٠ ت. ٥٤٤٦٤٩٦

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
رقم التسجيل ٧٧٤٠٤

دار الأميان
للطبع والنشر والتوزيع
٥٤٥٧٧٦٩ الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ١٣٨٥٦ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى

977-331-142-2

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

الزواج العرفي

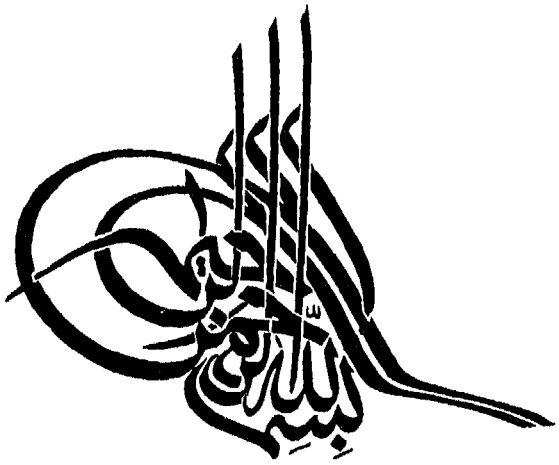
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة :

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فالمرأة جوهرة يجب أن تُصان ويُحافظ عليها ، وقد ذكر سبحانه صفة نساء أهل الجنة فقال : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) ﴾ [الرحمن : ٧٢] ، وقال : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) ﴾ [الصفات : ٣٨] ، وقد حدد الشرع مكان المرأة ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ .

[الأحزاب : ٣٣] .

وفى الحديث الصحيح « **المرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها** » ، والأوامر الشرعية فى حق المرأة تأمرها بالصيانة والتحفظ والتحجب والتستر ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

والمرأة يتعاهدها الولى قبل الزواج بما يصلحها ، وبعد الزواج يقوم الزوج على شئونها من نفقة وسكنى وغيرها من معانى القوامة ، وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول : « النكاح رِقٌ – أى أسر – فلينظر أحدكم عند من يَسترِقُّ كريمته » . ولما سُئل الحسن رضي الله عنه مَن أُزوج ابنتى ؟ قال : « زوجها التقى النقى ، فإنه إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يُهنها » ، وقالوا : مَن زوَّج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها .

وشأن المرأة أن تكون مطلوبة لا أن تكون طالبة ، وهذا لمصلحتها ومن صور المحافظة على طبيعتها ، فهى تُطلب من وليها لا من نفسها ، حتى وإن كانت

ثيباً ، إذ لا نكاح إلا بوليّ ، كما ورد فى الحديث ، وهذا ليس انتقاصاً من قيمتها ﴿ وما كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) ﴾ [مريم : ٦٤] ، ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [الملك : ١٤] ، وقد حكى لنا سبحانه قصة امرأة عمران لما وضعت مريم ، وكانت قد نذرت مافى بطنها لخدمة بيت المقدس ﴿ فلمّا وضَعتْها قَالَتْ ربِّ إنّي وَضَعْتُها أُنثَىٰ واللَّهُ أَعْلَمُ بِما وضعتْ وَلَيْس الذّكرُ كالأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

والنساء شقائق الرجال فى الأحكام إلا ما استثناه النص والدليل ، وقد وجدوا أن المرأة إذا تعرضت لمشكلة فإن مركز العاطفة فى المخ سرعان ما يعمل ، أما بالنسبة للرجل فإن مركز القرار يتصدر ، هذا بالإضافة لما اختصت به المرأة من حيضٍ ونفاسٍ وحملٍ ورضاع وغير ذلك ، مما تجاهله دعاة مساواة المرأة بالرجل ، وتغافله دعاة تحرير المرأة ، مما كان له أسوأ الأثر فى إشاعة الفسق والفجور والاختلاط ، وصارت معه المرأة طالبة بعد أن كانت مطلوبة ، فانطلقت تزوِّج نفسها ، فأضاعت حقها وحق وليها وتفسحت الأسر وشاع الاضطراب والتخوين ، وأصبح الزواج العرفى – ومن أعظم صوره الزواج بدون وليّ – يُشكل ظاهرة تهدد مجتمعنا بالتحلل والانهيار .

بدلاً من أن يكون الزواج ميثاقاً غليظاً ورابطةً قويةً بين الأُسر بعضها وبعض ، وترتب على كثير من صور الزواج العرفى توتر وقلق وشقاء بدلاً من تحصيل ثمار المودة والرحمة التى هى من أعظم ثمار الزواج الإسلامى ، ﴿ ومِنْ آياته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً ورحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] .

وإذا كان لكل داءٍ دواء ، فالواجب على كل مَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن ينظر لماذا اجتاحت ظاهرة الزواج العرفى هذا المجتمع ،

وماهى أساليب وصور العلاج لهذا الأمر الذى تفتى ، إبراءً للذمة ، وتأديةً للأمانة ، وإبلاغاً للرسالة .

وهذا الكتاب نصيحة للأمة ، فإن أصبتُ فمن الله ، وإن أخطأتُ فمن نفسى ومن الشيطان ، والله منه برئ ، والله من وراء القصد ، وهو سبحانه المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

مقدمة الطبعة الثانية :

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فلن يأتى على الناس زمان إلا والذى بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم ، وكأن البعض لم يكتف بالزواج بدون وليّ أو غير ذلك من شروط صحة الزواج ، حتى راح يجرح أصبعه ، وتجرح الفتاة أصبعها ، ويضع أصبعه على أصبعها ، وبذلك يكون الزواج قد تم كما نشرت ذلك إحدى المجلات المصرية !!! ، مما يدل على مبلغ الانهيار والتحلل وأن سلم التنازلات لا يقف بأصحابه عند حد ، ولا ندرى كيف لبسّت شياطين الإنس والجن على البعض مثل هذا الصنبع ؟! ، فالإنسان لا يجوز أن يجرح نفسه ، وأن يستدخل المضرة بأنفسهم ، ولا ضرر ولا ضرار ، كما لا يجوز للرجل أن يمس المرأة الأجنبية ، ففى الحديث : « **المرأة عورة** » (١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **والله ما مست يده** – أى النبى ﷺ – **يد امرأة قط فى المبايعة** » (٢) .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لئن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأةً لا تحل له** » (٣) ، وقال النبى ﷺ : « **إنى لا أصافح النساء** » (٤) ، كيف سهل على الرجل أن

---

(١) رواه الترمذى وهو حديث صحيح .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه الطبرانى والبيهقى ، قال المنذرى : رجال الطبرانى ثقات رجال الصحيح .
(٤) رواه مالك والترمذى والنسائى وابن ماجه .

يتصل بالمرأة وأن يحادثها فى مثل ذلك ، وأن يدخل عليها ويخلو بها ؟!! ، ففى حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والدخول على النساء » ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو ؟ ، قال ﷺ : « الحمو الموت » (١) . والحمو : كابن العم وابن الخال وأخى الزوج ، وذلك لأن التهمة فى الغالب بعيدة عنه .

وفى الحديث : « لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم » (٢) .

وروى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال : « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان » ، والخلوة المحرمة هى التى يأمن فيها الرجل مواقعة المرأة ، ومن صور ذلك التواجد فى دار أو حجرة أو سيارة ونحو ذلك ، أو مع استتار عن الأعين .

لقد صار الرجل يطلب المرأة من نفسها بدلاً من أن يطلبها من وليها ، وبدلاً من أن تكون مطلوبة صارت هى الطالبة ، فكيف تُصان الحقوق بمثل هذا العبث والاستهتار ؟ إن ما يحدث نذير شر ودمار وهلكة ، فقد أهلك ربنا بنى إسرائيل عندما وَصَلَتْ المرأة شعرها بشعر غيرها ، كما فى حديث معاوية رضي الله عنه ، وبيَّن النبى ﷺ « أن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » (٣) ، ولا شك أن بليّة هذه الأمة بالنساء لا حد لها ، فقد تبرجت المرأة واختلطت بالرجال وسافرت بدون زوج أو محرم ، وحدث الخضوع بالقول والفعل ، وبعض هذا يكفى فى تدمير أمة وتحللها ، فكيف إذا انضاف إلى ذلك معاشرة الرجل للمرأة معاشرة الأزواج ؟!! .

---

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

وقال بشأن العواجز اللاتى لا يرجون نكاحاً ، لعدم رغبة الرجال فيهن لكبر سنهن : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ﴾ [النور : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

لقد اتبعت هذه الأمة سُنن وطريقة من قبلها من اليهود والنصارى شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، كلما دخلوا جحر ضب دخلته وراءهم ، وحدث فيها ما أخبر عنه الصادق المصدوق –صلوات الله وسلامه عليه – وهذا من دلائل نبوته، وقد كان صدور كتابنا [**الزواج العرفي**] إبراءً للذمة ونصحاً للأمة ومحبّة حقيقيّة للبلاد والعباد ، فى وقت شاعت فيه الغربة وكثر فيه التزييف والتدليس ، وسُمِّيت الأشياءُ بغير اسمها ، فأصبح المخربون والملحدون ودعاة الفسق والرذيلة ينفثون سمومهم بزعم محبة الأوطان ومجاراة معانى التطور والتحضر بزعمهم !! .

وقد أصدر مفتى الديار المصرية فتوى بتحريم الزواج العرفى الذى يفتقر لإذن الولى ، ودعا إلى توثيق عقود الزواج ، وحذّر من مغبة تفشى هذه الظاهرة وسط طلاب الجامعات والمدارس ، ولكن يبدو أن البناء صعب عسبر والجهود المبذولة لا تتناسب مع تيارات الهدم ، ولذلك فلابد من بذل كل وسع وجهد ،

وتعاون الجميع لرأب [١] الصدع وإصلاح الانحراف ، والاستعانة بخالق الأرض والسماء فهو سبحانه ولينا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وإليك هذه الطبعة الثانية من كتاب الزواج العرفى ، نسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم بما فيه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ﴿ يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون (٨٨) إلاَّ منْ أتى اللَّه بِقلْبٍ سليم (٨٩) ﴾ [الشعراء : ٨٨ - ٨٩] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

(١) دأب الصدع : أصلحه وشَعَّثَهُ . المحيط .

مقدمة الطبعة الأولى :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ .

[آل عمران : ٧٠- ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

من الظواهر اللافتة للنظر كثرة حالات الزواج العرفى ، وكنا قد قرأنا عن ستين ألف حالة إثبات نسب أمام المحاكم عندنا فى مصر ، وعدم الإعتداد بالورقة التى تكتب بين الرجل والمرأة دون توثيقها فى المحكمة ، والطعن بسبب ذلك فى الميراث والنسب ، مما يترتب عليه ضياع الأولاد ، وغير ذلك من الشرور والمفاسد ، وقد انتشرت هذه الظاهرة وسط الشباب فى الجامعات

والمدارس ، حتى أصبحت حديث الناس ووسائل الإعلام ، الأمر الذى ينذر بخطر كبير ، إذ أن الزواج يتم فى السر ، وبتكتمٍ شديد دون علم الوالد والأسرة ، وفى أوساط منها الغنى والفقير .

ولما كان الزواج العرفى له صوره وأشكاله ، وأسبابه ودواعيه ، ولما كان الحكم على شيء فرعٌ عن تصوره ، والسلوك مرآة الفكر ، رأينا قبل توضيح حكم الزواج العرفى وما يترتب عليه ، أن نذكر عدة مسائل ومقدمات ، تتعلق بالموضوع ولا تنفك عنه .

ونسأل الله تعالى أن يجنبنا وإياكم الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يعيذنا وإياكم من أسباب الردى ومضلات الفتن ، كما نعوذ به سبحانه من أن نقول زوراً أو أن نغشى فجوراً ، أو أن نكون بالله من المغرورين .

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنا لِمَ اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه
سعيد عبد العظيم
عفا الله عنه

وقفات بين يدي ظاهرة انتشار الزواج العرفي

الأولى : صور الزواج العرفى وأشكاله :

صارت كلمة الزواج العرفى تُطلق على عدة صور وأشكال ، فلا تقتصر على صورة واحدة كما يتوهم البعض ، وكل صورة من هذه لها حكمها ، على ضوء معرفتنا بضوابط الزواج العرفى ، ذلك حتى نطبق الحكم على الواقع المساوى له ، وبذلك يصطلح كل فريق على حقه ، ويحيَّ من حيَّ عن بيّنة ، ويهلك من هلك أيضاً عن بيّنة .

فمما يُطلق عليه اسم الزواج العرفى ما يحدث بين العرب فى القبائل والبوادى ، حيث يتم التزويج ، ويُراعى الحدود والحقوق ، حتى لو غابت الكتابة والتوثيق .

وقد يتم الزواج بموافقة الولىّ وشهادة الشهود والإيجاب والقبول ، وبدون كتابة وثيقة الزواج عند المأذون حفاظاً على استمرارية المعاش [١] !! أو لغير ذلك من الأسباب .

ومن هذه الصور تزويج المرأة نفسها إذا بلغت سناً معيناً وبرضاها وبدون موافقة والدها أو الولىّ ، ولكن بشهادة الشهود ، وهذه الصورة بلغت حداً من الكثرة ، جعلت البعض يطالب بسن القوانين لتيسيره !! ولجعل المحامى بدبلاً عن المأذون فى كتابة صيغة العقد حتى يصير مُعْترفاً به أمام المحاكم ، وكنت قد اطلعت على صيغة عقد زواج كتبها أحد المحامين ، وقد اشتملت على بيانات كثيرة تتعلق بالطرفين ، ولم يذكر فيها شيئاً يتعلق بموافقة الولي !!! .

---

(١) أى : الراتب الذى يُصرف من قِبل الحكومة .

ومن صور الزواج العرفى ، أن يقول الرجل للمرأة أنت زوجتى أمام الله ، وبلا شهادة شهود أو موافقة وليّ ، وأحياناً تقول هى له : وهبتك نفسى ... إلى غير ذلك من الصيغ ، وقد يتم تدوين ورقة بينهما ، يقوم الرجل بكتابتها لمن يقترن بها ...

فهذه بعض الصور التى يُطلق عليها اسم الزواج العرفى ، وقد يظهر غيرها ، إذ الباطل كثير لا ينحصر ، ولذلك قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) ﴾ [الأنعام : ١] .

فالظلمات جمع ظلمة ، وهذا شأن الأباطيل فى كل عصر أما الحق فهو واحد ، ضُرب له المثل بالنور ، فاعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه ، واسلك طريق الهدى ولا يصرك قلة السالكين ، وإياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فكن على بصيرة من أمرك وأمر الناس ، حتى تميز بين الزواج الصحيح والزنى المُقنّع ، فما الحق إلا واحد ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

الثانية : انتشار الزنا علامة من علامات الساعة :

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أشراط الساعة ... ويظهر الزنا** » [(١)] ، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيأتى على الناس سنوات خداعات ... قال : وتشيع فيها الفاحشة** » [(٢)] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الحاكم وصححه الألبانى .

وعن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير » [١] والحر : هو الزنا .

وجاء فى حديث النواس رضي الله عنه : « ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » [٢] ، والمراد بالتهارج ، أى الجماع وكثرة النكاح .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق ، فيكون خيارهم يومئذ من يقول : لو واريتها وراء هذا الحائط » ، فهذه أخبار الصادق المصدوق بين يديك ؛ والواقع ماثل أمام عينيك تزداد يقيناً بالأول ، وتأسى وتحزن على تهتك وانحلال الثانى ، فإلى الله المشتكى من غربة الإسلام وسط أهله وبنيه .

الثالثة : إشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا :

كثُرت الحكايات التى تُزكم الأنوف ، وقد صارت الدنيا أشبه بقرية واحدة ، نتيجة سهولة الاتصال ، الأمر الذى أدى إلى إشاعة وترويج الفواحش وسهولة اقترافها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذين يُحبُّونَ أَن تَشيعَ الْفَاحشَةُ فى الَّذين آمنُوا لهُمْ عَذابٌ أَليمٌ في الدُّنْيا والآخرة وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تعْلَمُون (١٩) ﴾[النور : ١٩] ، وقد نزلت هذه الآية البينة ضمن آيات سورة النور ، التى تعلقت بقصة الإفك ، وفيها تحذير من إشاعة الفواحش ، وتهوين المعاصى والذنوب على ضِعاف الإيمان بسبب كثرة السماعات ، فلابد من التثبت وعدم نقل أخبار الفساق ،

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه مسلم .

والحيطة فى إذاعة الفواحش إلا إذا كان على سبيل بيان الحكم الشرعى ، وزجر الفجرة والمذنبين ، ووضع الحدود والضوابط لمنع ما يخالف الكتاب والسُّنة .

كما ينبغى التريث قبل تعميم الأحكام ، فلا تعميم إلا بعد حصول الاستقراء ، فلا يجوز مثلاً أن يقال : أهل مصر كلهم فسقة ﴿ ما يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق : ١٨] ، وقد وردت النصوص تُخبر عن ظهور الفحش وكثرته فى آخر الزمان ، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش ، وقطيعة الرحم ، وسوء المجاورة » (١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة الفحش والتفحش ، وقطيعة الرحم » (٢) .

وقد كان من جراء كثرة الفحش والمجاهرة به ، ظهور الأمراض والعلل الفتاكة ، كالإيدز والسيلان والزهرى ... وفى الحديث : « يا معشر المهاجرين خمس خصال إن ابتُليتُم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ، ما ظهرت الفاحشة فى قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ... » الحديث (٣) .

الرابعة : الأمانة وتفشى الخيانة :

هذا مثل المرأة التى تفرط فى حقها وتتعدى حدود الله ، وتزوج نفسها دون معرفة والدها وأسرتها ، وهو مثل مضروب لليد التى سرقت ربع دينار فقُطعت ، ولما تعجب البعض كيف تُقطع اليد فى ربع دينار ، قيل له : لما خانت هانت .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٣) رواه ابن ماجه والحاكم وغيره .

وكنت قد سمعت قصة فتاة تدرس بالجامعة الأمريكية ، ذهبت فى رحلة للأقصر ، وتعرفت على شاب زميلها فتزوجت منه دون معرفة أهلها ، وأتاها بشقة ، وفى يوم جاء زميل له ، فنزل هو وترك زميله مع مَن تزوج بها على هذا النحو ، فراودها الزميل ، فأبت وامتنعت ، وعندما جاءها هذا الزوج اشتكت له من فعل زميله ، فأوضح لها أنه لا حرج وأن الكل يصنع ذلك !!! ، فما كان منها إلا أن اعترضت عليه ، فضربها حتى أُغمى عليها ، وعندما أفاقت وجدت نفسها عارية مع الزميل ، والتصاوير تُلتقط على هذا النحو لتصير أداة لابتزازها .

ولا يُستغرب ما حدث لهذه الفتاة المخدوعة من إهانة ، فقد أهملت الحدود وفرطت فى الحقوق ، وخانت الأمانة فهانت على الزوج العرفى وزميله ، وهان أهلها عليها فهانت هى على نفسها [١] .

(١) ثم هانت على الله ﴿ ومن يُهِنِ اللهُ فما لهُ من مُكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨]

إذا ضاعت الأمانة وتفشت الخيانة فانتظر الساعة

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إذا ضُيِّعتْ الأمانة فانتظر الساعة » ، قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ ، قال :« إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » (١) .

وروى حذيفة رضي الله عنه قال : « حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر – أصل – قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السُّنة ، وحدثنا عن رفعها قال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت (٢) ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل (٣) كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً (٤) وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة ، فيقال : إن فى بنى فلان ، رجلاً أميناً ، ويقال للرجل : ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أبالى أيكم بايعت ، لأن كان مسلماً رده عليَّ الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده عليّ ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً » (٥) .

وقد حدَّث النبى ﷺ عن هذا الوقت الذى تختل فيه المقاييس ، فعن أبى

---

(١) صحيح البخارى .
(٢) الوكت أثر يسير لجرح .
(٣) أثر العمل فى الكف
(٤) منتفخاً كالحمر عندما يحرق اليد يترك انتفاخاً بها .
(٥) صحيح البخارى .

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنها ستأتى على الناس سنون خداعات يُصدّقُ فيها الكاذب ويُكَذَّبُ فيها الصادق ، ويُؤمَّنُ فيها الخائن ، ويُخوّنُ فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة »، قيل : وما الرويبضة ؟ قال : « السفيه يتكلم فى أمر العامة » (١) .

وفى حديث جبريل عليه السلام المتفق عليه : « وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها » .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع بن لكع (٢) فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين » (٣) .

وفى الصحيح : « إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »

وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » (٤) .

وهذه النصوص مع تطابقها مع الواقع من حولنا إلا أننا لا ندرى ، فلعل الأحوال تسوء عما هى عليه الآن ، وإلى الله المشتكى من غربة الإسلام وسط أهله وبنيه .

الخامسة : التراضى لا يجعل الحرام حلالاً :

المعصية لا تنقلب إلى طاعة بمجرد التراضى والتوافق ، بل هذا مما يزيد به

---

(١) رواه أحمد وقال أحمد شاكر : إسناده حسن ومسه صحيح ، وقال ابن كثير ، وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

(٢) لكع : بضم اللام : أى لئيم خبيث النفس .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات كما قال الهيثمى .

(٤) رواه أحمد وصححه الألبانى – رحمه الله – .